

# قراءة في قصيدة ( الخمار ) للشاعر الدكتور حسن الأمrani بين الشكل والمضمون

زكية محمد خالد أحمد

أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية - كلية العلوم الإنسانية

والاجتماعية

جامعة زايد - دبي

*The poem "Al-Khimar" by the poet Dr. Hassan Al-Amrani*

*-Between form and content-*

Dr. Zakia Mohammad Khalid Ahmad  
Assistant Professor- Department of Arabic Language-  
Collage of Humanities and Social Sciences  
Zayed University - Dubai

## Abstract:

This critical reading sheds light on the aesthetic and cognitive structure of the poem "Al-Khimar" by the poet Hassan Al-Amrani, which was inspired by another reading of an old text by Victor Hugo. A reference mentality similar to the reference structure carried by Hugo's poem ninety-two years ago! Despite the transformations and changes that societies have undergone during all these years, there are some intellectual models that have remained. This symbolic employment is an important factor for receiving the text for the audience of readers, and therefore This study is based on studying the form and content, and diving deep into the text to absorb and analyze it.

## الخلاصة :

تلقي هذه القراءة النقدية الضوء على البنية الجمالية والمعرفية التي تحملها قصيدة "الخمار" للشاعر حسن الأمراني، والتي استلهما من قراءة أخرى لنص قديم لفكتور هيجو، وتشير هذه الدراسة إلى هذه القراءة التفاعلية التي كونت المرجعية المؤسسة للنص، وكيف أنّ الشاعر قد نجح في تكوين بنية ذهنية مشابهة للبنية المرجعية التي حملتها قصيدة هيجو قبل اثنين وتسعين عاماً، وعلى الرغم من التحولات والتغيرات التي مرت بها المجتمعات خلا كل هذه السنين إلا أن هناك بعض النماذج الفكرية التي بقيت، إن هذا التوظيف الرمزي يُعدّ عاملاً مهماً لاستيعاب النص لدى القارئ، ولذا قامت هذه الدراسة على دراسة الشكل والمضمون، والغوص في عمق النص لاستيعابه وتحليله.

Keywords:

author, reader, recipient,  
form, content, social dimension,  
symbolism, narrative structure,  
poetic image, historical depth,  
right and falsehood.

الكلمات المفتاحية:

القارئ ، المتلقي، الشكل، المضمون،  
البعد الاجتماعي، الرمزية، البناء  
القصصي، الصورة الشعرية، العمق  
التاريخي، الحق والباطل.

المقدمة

بين المبدع والقارئ يتجلى النص الشعري الذي بين أيدينا بأدواته المعرفية  
وبنيته الجمالية اللغوية، حاملاً التجربة الأدبية التي يرمي الشاعر إلى نقلها  
للمتلقين. وفي الوقت ذاته يطرح تساؤلاً عميقاً حول استيعاب النص، والبنية  
الذهنية التي يرغب في تكوينها لدى جمهور القراء. وهذا بدوره يوجهنا لمحاولة  
اكتشاف كنه العلاقات التي تربط النص بمكوناته الأساسية، والخلفيات  
المرجعية التي ساهمت أو لنقل تحكمت في إنتاجه.

إن هذه المحاولة لدراسة قصيدة الشاعر الدكتور حسن الأمراني<sup>1</sup> (الخمار)  
وتحليلها، يمكننا أن نعتبرها قراءة تفاعلية حيوية للنص تفتح للقارئ الآخر  
أفاقاً قد توصله إلى رؤية أعمق للنص خاصة إذا ما استحضرننا القراءة  
السابقة التي أسست للنص والتي استلهمها الشاعر لإبداع نصه، لتكون  
الذخيرة المعرفية التي تؤسس لقراءة النص وتحليله.

النص:

الخَمَارُ

(حسن الأمrani)

أصليتِ لربك هذا المساء يا ديدمونة؟

شكسبير

فاتحة

في الزمن البعيدُ

كان هناك حاكم عنيدُ

يطوف من شيراز، حتى الهند،

حتى الشام، حتى البلد الصعيدُ

يظنّ كل من مشى في ملكه

ليسوا سوى عبيدُ

ويبصر الرؤوس كالثمار أينعت،

ويلهو مثلما المهووس بنساء البلد السعيدُ

ونسى الناسُ الذي تعلموا من قول "لا" في الزمن الرشيدُ

واستنسروا على البغاث من بنات الحيّ،

فاغضبُ أيها النشيدُ

(١) دم الوردة

الأخت

ما خطبُكم؟ ما خطبُكم يا أيها الإخوان؟

جباهكم تخنونها قلقة مؤرقة

مؤرقة

مثل مصابيح جنائزية

في ماتم السلطان

نظراتكم تلمع في أعينكم،

وحولكم أحزمة ممزقة

قد لمعت تحت أصابعكم

مدى خناجركم، وهي نصف مشهرة

ثلاث مرّات، ومن أغمادها قد جردت

كأنها قضبضة الذئب بأرض مقفرة

الأخ الأكبر

أما نزعت اليوم

خمارك المصون حتى في سرير النوم؟

الأخت

أنا من الحمّام قد رجعت الآن

يا سادتي، عدت من الحمّام

مستورة عن نظرات زائغات مثلما السهام

قراءة في قصيدة ( الخمار) للشاعر الدكتور حسن الأمراني بين الشكل والمضمون.....(285)

ترسلها الكفارُ نحو سيّد العشيرة  
وعندما مررتُ قُربَ مَسْجِدِ الأنصارِ  
مُلْتَقَةً وَسَطَ مِحْفَتِي التي اقتنيتها  
من (أرضِ رومِ) خنقتني لفحة الظهيرة  
فانسلّ في هُنَيْهَةٍ خماري.

### الأخ الثاني

ساعتها مرّ، كطيّفٍ، رجلٌ، أَيْتها الرقطاء؟  
ألم يمرّ رجلٌ في جُبَّةٍ خضراء؟

### الأخت

مرّ نعمٌ... رُبُّتَمَا ... لكنّه، بالرَّغْمِ من جُرأتِهِ،  
لم تُبصرِ العينانِ منه ملمحي المكشوفَ قطُّ..  
عجباً، حديثكم كالهمس صارَ،  
صوتكم منخفضٌ، منخفضٌ جداً..  
أتطلبون عند أختكم دماً؟  
بروحكم أقسمُ يا أبناء أُمِّي وأبي،  
ما كان للغريبِ أن يراني  
أو أن يشمّ الطيب من أرداني

الرحمة، الرحمة،

هل ستقتلون امرأةً،

ضعيفةً، عاريةً، أمامكم، أنتم أولى القوّة؟

قراءة في قصيدة ( الخمار) للشاعر الدكتور حسن الأمrani بين الشكل والمضمون.....(286)

واهاً للذي أضْحَى ضعيفَ الطولِ، من قوَّته عريانُ

الأخ الثالث

هذا المساء، الشمسُ حمراءٌ تجلَّتْ في الغروبِ

الأخت

الرحمة، الرحمة، ماذا قد جنيتُ؟

هذه داهية الدواهي

الرحمة... الرحمة يا إلهي،

خناجرٌ أربعةٌ تغوصُ في خاصرتي.

بحقِّ أقدامكمُ تلثمها شفاهي

أواه يا خماري

إزو الذي رأيت من أخباري

أواه يا خماري الأبيض،

لا تفلتْ يدي إذ تسيلان دما،

وتحتمي بعفّتي، لا عفة الإزارِ

بالله يا أبناءَ أمي وأبي

بالله شدُّوا أزرَّ حُطوتي،

ومن سواكمُ لدمعي يرقاً؟

ففوق نظراتي التي تنطفئُ

ينبسط الآنُ خمارُ الموتِ

أبعده... ترى يغيبُ الصوتُ؟

## أصداء هام

أهكذا غدوتُم يا أمة القرآن؟  
أهكذا سيوفكم في الأرض لا تقطع إلا رؤس النسوان؟  
أهكذا يا أيها الفرسان  
ويا نشامى العصر والأوان  
تُدبِّحون أختكم  
وتزعمون أنه شرفكم يُهان  
لأن نفحةً سرّت من جهة الغرب إلى دمشق أو عمّان  
فانكشف الخمارُ في هنيئةٍ  
فشُحذت سيوفكم  
وشمخت أنوفكم  
وحولكم عدوكم يطوف في الميدان  
هلاً رددتم صولة القرصان؟  
هلاً كسرتم هيبة الغزاة في القدس وفي الجولان؟  
أقتلون من يقول ربّي الله، ويخشى صولة الديان  
وتفخرون أنكم في رمضان تنشرون حولكم موائد الرحمن.

الهيل والقهوة والنمارقُ

تكسر سيف طارقُ

فاعتذروا لصولة الأسيافُ



واعتصموا، إن تجدوا، بقاف  
لم يبق في بلادكم باقٍ سوى الأطفاف<sup>٢</sup>

### - حول النص "بنيته الخارجية":

لا يمكننا في نظرتنا النقدية هذه أن نغفل اختيار الشاعر د. حسن الأمراني، أن يصدر قصيدته بجملة لشكسبير "أصليت لربك هذا المساء يا ديدمونة؟" في مسرحيته الشهيرة هاملت، إضافة إلى إشارته الواضحة إلى أنه قد بنى قصيدته هذه -"الخمارة"- على قصيدة الأديب الفرنسي فيكتور هيجو (الحجاب) أو (الخمارة). والتي يصور فيها الشاعر الفرنسي فتاة شرقية محتشمة عائدة من الحمام وهي تحاول أن تحتمي من عيون المتطفلين من الأجانب ولكن نسمات الهواء تأتي إلا أن تداعب خمارها، ويثور إخوانها - الشرقيون - عازمين أن يعاقبوها ويثأروا لـ (شرفهم)!! رغم توسلاتها المريرة. نلاحظ أن النص العربي، وكأنه محاصر بين نصين مختلفين: نص مسرحي لشكسبير (بين عامي ١٥٩٩ - ١٦٠٢م)، ونص شعري ليفيكتور (١٩٢٨م)، ومع النص العربي لشاعرنا (٢٠١٩م)، فرننا سنجد أنفسنا أمام ثلوث نصي - إن صح التعبير- بمرجعيات مختلفة وفي أزمنة متباعدة، ولكن رغم هذا الاختلاف والتباعد سنرى أن الموقف بقي واحداً.

فهذه القصيدة بأبعادها الدينية والاجتماعية التي صورها هيجو قبل قرابة القرن من الزمان، والتي جاء الشاعر الأمراني ليحييها لنا ويصورها في حلة أدبية فريدة، تحمل دلالات رمزية عميقة، وتشير إلى وشائج فكرية واجتماعية ودينية صريحة ومخفية في الوقت نفسه.

وتبدو المرجعية الدينية واضحة للقصيدتين، والغريب أنها هي نفسها لم تتغير. وكذلك ملامحها تبدو نفسها لم تتغير عن مسرحية شكسبير، ف

قراءة في قصيدة ( الخمار) للشاعر الدكتور حسن الأمراني بين الشكل والمضمون.....(289)

"ديدمونة" كانت مثلاً للمرأة الساذجة الطيبة والمظلومة في الوقت ذاته، والقصة ذاتها تتكرر في قصيدة الخمار.

إن الشاعر هنا قد نجح بجدارة في نقل بنية ذهنية تكاد تكون مطابقة للبنية الذهنية التي حملتها قصيدة هيجو قبل اثنين وتسعين عاماً!! ويا للعجب.. إذ نجد المكونات الفكرية والاجتماعية للعقل (الشرقي) تكاد تكون ذاتها!! أيعقل أن تسعين عاماً من التحولات والتغيرات لم تستأصل مثل هذه النماذج الفكرية المتطفلة على المنظومات الثقافية، ومرجعياتها الدينية؟! يبدو أن هذا هو التساؤل الجوهرى الخفى الذي تحمله قصيدة الدكتور حسن الأمراني، والذي جعله يحيي المكوّن الرمزي فيها والذي يمكن إسقاطه على الأفراد والمجتمعات الصغيرة والدول الكبرى أيضاً .

إنّ التوظيف الرمزي لهذا المكون الاجتماعي والثقافي والسياسي والديني، يعدّ عاملاً مهماً لاستيعاب النص في ظل الظروف المحيطة به. فاللغة الشعرية تحمل بعداً معرفياً عميقاً يصور حالة التراجع التي تمرّ بها الأمة العربية وكأنها تعود إلى الوراء قرناً من الزمان، فليس ثمة مسافة شاسعة بين البعد التخيلي في القصيدة والواقع اليومي فيما حولنا.

فالنص يبدو انعكاساً لجزء لا يستهان به من المجتمع، والمفارقة في الأمر أن سوسيوولوجية النص؛ نص الأمراني (زمان نشأته ومكانه، وزمان الحدث والسرد) على اختلافها مع سوسيوولوجية نص هيجو، إلا أنهما يبدوان متوافقين على الأقل في تصوير الأبعاد الثقافية والاجتماعية!! مع اختلاف الركائز العقدية.

وهذا كله من أهم مقومات استيعاب النص، أولاً بالنسبة للشاعر الأمراني كقارئ أول، أقرّ إقراراً ضمناً بمشاركة النص وإنتاجه، منذ أول لحظة استوعب فيها النص الأول (نص هيجو)، إلى لحظة إبداع النص الثاني

قراءة في قصيدة ( الخمار) للشاعر الدكتور حسن الأمراني بين الشكل والمضمون.....(290)

(قصيدة الخمار). وهذا الإقرار الضمني هو نفسه الذي يحمله القارئ عند تفاعله مع نص (الخمارة) بمكوناته المتعددة. وثانياً بالنسبة لاستيعاب النص للقارئ الثاني (جمهور المتلقين)، وفق معارف مختلفة وخلفيات معرفية تتباين من قارئ إلى آخر تبعاً للبنية المعرفية التي تشكل ذاكرته، وطريقة استيعابه وإدراكه لمكونات النص.

- "في عمق النص"

إن أهم قضية مطروحة حول البنية النصية، هي البعد القيمي للنص أو ما يمكن أن نطلق عليه القيمة الجوهرية للنص. وهي تنصب في فكرة النص والعاطفة التي يحملها؛ ولست هنا بصدد تحليل النص تحليلها قائماً على التجزئة والتفكيك. ولكن ما يهمننا هنا ويلفت الانتباه البنية المضمونية التي تحملها فكرة النص والمنطلقة بدءاً من عنوان النص (الخمارة) وما يضيفه هذا العنوان على الفكرة من معاني الالتزام، والطاعة والانقياد التي نجد روحها في أغلب أجزاء القصيدة وما يحمله ذلك من بعد ديني أولاً واجتماعي وثقافي وسياسي لاحقاً، كما أنه يبدو الروح التي تظلل أجزاء القصيدة وتتابع تسلسل الفكرة ونموها. وهذا يحمل دلالة رمزية عالية ترفع القصيدة إلى مستوى عالٍ من الرمزية تنقله من الفكرة البسيطة الواضحة إلى مستوى رمزي إيحائي أعلى وتفتح للقارئ أفقاً ليسقط هذه الرمزية على نظام بناء المجتمع من حوله.

وهذا بدوره يجعلنا نلتفت لوظيفة النص في إحداث الأثر الأخلاقي في المتلقي عن طريق هذه الرمزية الكلية أو الجزئية.

يبدو النص بأكمله رمزاً لفكرة عامة تسري روحها في أجزاء القصيدة (مقاطع القصيدة الحوارية) كلها بدءاً من فاتحة النص، التي قد تظهر للقارئ في

قراءة في قصيدة (الخمارة) للشاعر الدكتور حسن الأمراني بين الشكل والمضمون.....(291)

الوهلة الأولى كأنها افتتاحية قصة تنقلنا لعصور قديمة، ولكن القارئ يسمع في أصدائها جرساً للتنبيه وعلامة إنذار ((ونسي الناس الذي تعلموا من قول "لا" في الزمن الرشيد)). فهذه العبارة في حد ذاتها قد تلخص في سطر واحد عمق الأهداف التي يرمي إليها النص.

وبرغم أن هذه الفاتحة قد تبدو للناظر منفصلة نوعاً ما عن النص بدايةً؛ إلا أنّ القارئ حينما يسترسل في القراءة يشعر بأنها أولى درجات السلم في نمو الأفكار في القصيدة، ونمو الصور الدلالية فيها، وبأن آخر جملة في الفاتحة ((فاغضب أيها النشيد)) هي الرسالة النهائية التي يريد الشاعر أن يوصلها للقارئ بعد أن يتمّ قراءة القصيدة.

إن العاطفة المتسلسلة التي تنتقل مع القارئ مع كل جزء من أجزاء القصيدة في نظام دلالي متتابع تنقل للقارئ التجربة الشعورية وهي تتطور مع تطور الأفكار والانفعال الذي يصاحب الأحداث وهي تتصاعد بين الحيرة والاستفهام (دم الورد) و اللؤم والمكيدة (الأخ الأكبر)، والقلق والترقب (الأخت)، والاتهام والخبث (الأخ الثاني)، والقسوة والوحشية (الأخ الثالث)، وأخيراً الألم والخذلان (الأخت). وكل هذه المقاطع مجتمعة تشكل الصورة الأدبية للنص كاملاً، وتحدد ملامحه الأسلوبية.

- "في بنية الشكل"

وهنا سنتطرق إلى ملامح الأسلوب من بناء ولغة وتراكيب وموسيقى إلى جانب الخيال في النص.

○ بناء النص

لقد بنى الشاعر القصيدة على نظام المقطوعات -الحوارية- المتكاملة، ويبدو أن هذا الاختيار جاء استجابة للمضمون وبناءً على دواعٍ متعلقة بالتسلسل

قراءة في قصيدة ( الخمار ) للشاعر الدكتور حسن الأمراني بين الشكل والمضمون.....(292)

القصصي الذي بنيت عليه قصيدة هيجو وتطور الأحداث فيها، ولما يمنحه هذا النظام من حرية في البناء الممتد للتركيب واستخدام اللغة. إنَّ من أهم ما يميّز بناء قصيدة "الخمارة" للشاعر الأمراني، هو تلك الوحدة العضوية، وقد تمت الإشارة سابقاً إلى "فاتحة" النص ونهايته، وكيف أن آخر جملة في الفاتحة ((فاغضب أيها النشيد)) تصلح تماماً لأن تكون خاتمة للقصة في نهاية القصيدة.

كما أنّ البناء القصصي للقصيدة يجعله يجمع بين عناصر البناء القصصي للقصة من شخصيات وحدث وحبكة وزمان ومكان إلى جانب الشعرية في القصيدة، وتتضح ملامح هذه العناصر في القصيدة مع نمو الأفكار في القصيدة وتسلسلها. فالحدث يتطور مع التساؤل الذي طرحه الأخت وهي ترى نظرات الشك والريبة والشر المتطائرة من أعين إخوانها، ثم يأتي في المقطع الثاني تساؤل الأخ الأكبر الذي يخفي وراءه خبثاً:  
أما نزعَت اليوم  
خِمَارُكَ الْمَصُونِ حَتَّى فِي سِرِيرِ النَّوْمِ؟

ويتبعه الرد البريء من الأخت في المقطع الذي يليه وهي تشرح التفاصيل مؤكدة بالتكرار والشرح المفصل، فهي تعرف إخوانها وتعرف المجتمع الشرقي الذي تعيش فيه:

أنا من الحَمَامِ قد رجعتُ الآنُ  
يا سادتي، عدتُ من الحَمَامِ  
مستورةً عن نظراتِ زانغاتٍ مثلما السهامُ  
ترسلها الكفارُ نحو سيّد العشيرة  
وعندما مررتُ قُربَ مَسْجِدِ الْأَنْصَارِ

قراءة في قصيدة ( الخمار) للشاعر الدكتور حسن الأمراني بين الشكل والمضمون.....(293)

مُلْتَفَةً وَسَطَ مِحْقِي التي اقتنيتها  
من (أرضِ رومٍ) خنقتني لفحة الظهيرة  
فانسلّ في هُنَيْهَةٍ خماري.

ويبدو من الأبيات أن المرأة من أسرة كريمة من كبار القوم إذ أنها تنتقل من الحمام إلى بيتها وهي في مِحْقَةٍ، و"المِحْقَةُ، مركب كالهودج إلا أن الهودج يُقَبَّبُ، والمِحْقَةُ لا تُقَبَّبُ، وقيل: المِحْقَةُ مركب من مراكب النساء"<sup>٣</sup>. وهذه المحفة قد جُلبت لها من أرض الروم، وفي هذا دلالة على المستوى المادي الذي تعيش فيه هذه المرأة، ومكانة عائلتها في المجتمع، والذي لم يشفع لها، كما أن في ذلك إشارة واضحة إلى أن هذه العادات الجاهلية المقيتة لا تزال باقية -إلى يومنا هذا- مع تطور المجتمعات؛ والغريب أن التحضر والتمدن أحياناً قد يكون شكلياً فقط ولا يصل لجوهر الأفكار، خاصة حينما يتعلق بنظرة المجتمعات الشرقية للمرأة متجاوزين التشريعات الإسلامية بخصوص ذلك. ففي بعض المجتمعات بقي الحال كما هو رغم مرور مئات السنين!!

ثم يتتابع الحوار حين يرد الأخ مضمناً الاتهام في حديثه، وواصفاً أخته بالحياة الرقطاء دلالة المراوغة والخبث والمكر:  
ساعتها مرّ، كطيفٍ، رجلٌ، أيتها الرقطاء؟  
ألم يمرّ رجلٌ في جُبَّةٍ خضراء؟

فتصرخ الأخت موضحة ومبررة، ومستنكرة هذا الاتهام بغير جرم ارتكيبته، ولاذنب عن قصد فعلته!! ولكن هيهات هيهات، إنه التفكير الجاهل، الذي يرغب الشاعر في أن يسלט عليه الضوء، والذي نسمعه بين الحين والحين عن (جرائم الشرف) وهدر الدماء غير المبرر لأسباب واهية، ولمجرد ظنون لم

قراءة في قصيدة ( الخمار) للشاعر الدكتور حسن الأمrani بين الشكل والمضمون.....(294)

ترقّ إلى التثبّت ولم تلتزم بالشريعة الواضحة في هذه المسائل. فيتجرد الأهل من إنسانيتهم ومن دم النسب الذي يجمعهم.

وها نحن نسمع صوت الأخ الثالث:

هذا المساء، الشمسُ حمراءُ تجلّت في الغروبِ

ويبدو أنه قد أنزل الحكم الجائر ولمعت من عينيه شرارة حمراء ملتهبة كحرارة الشمس، ليعطي نفسه وأخوته الحكم بإنهاء حياتها لذنبٍ لم تقترفه ولتغرب شمسها في ذلك اليوم.

ومن قلبها المكلوم المخدول ممن كانت تظنهم سندها وعزتها.. تنطلق صرخات الألم وتسولات الرحمة عليها تصل أسماعهم.. ولكن

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لأحياة لمن تنادي

الأخت

الرحمة، الرحمة، ماذا قد جنيت؟

هذه داهية الدواهي

الرحمة... الرحمة يا إلهي،

خناجرٌ أربعةٌ تغوصُ في خاصرتي.

بحقّ أقدامكمُ تلثمها شفاهي

إن نداءات الاسترحام والاستغاثة لم تكن ذات جدوى ولذا فإن هذه المرأة

المستضعفة وجهت حديثها لخمارها رمز عفتها:

أواه يا خماري

إرؤ الذي رأيت من أخباري

أواه يا خماري الأبيض،

قراءة في قصيدة ( الخمار ) للشاعر الدكتور حسن الأمراني بين الشكل والمضمون.....(295)

لا تفلتْ يديّ إذ تسيلان دما،  
وتحتمي بعفّتي، لا عفة الإزار

ويختتم الشاعر القصيدة بأصداء تتردد إن لم تصل إخوتها فلعلها تصل أمة الإسلام، لعلّ قصة حجابها تزيل الحُجُبَ عن أعينهم وتنفض الغبار عن رؤوسهم، حين تختل عندهم الموازين، وتنقلب الآية، فيصير الحق باطلاً والباطل حقاً!! ليعرفوا أين يجب أن تثور الحمية؟ ومتى تسلّ السيوف؟ وفيهم تكتب قصص البطولة!

والمأمل لبناء القصيدة يلاحظ التفاوت في الطول بين المقاطع، وهذا إنما يكون استجابة لطبيعة البناء القصصي لهذا النص الشعري.

#### ○ اللغة والتركيب.

إذا التفتنا إلى الجانب اللغوي للنص فإننا نجد أنفسنا أمام نص شعري إسلامي معاصر بلغة جزلة، فالشاعر في أسلوبه عامة وفي قصيدته هذه خاصة يتخير الألفاظ الدقيقة الواضحة، ويتأنى في الصياغة والتركيب، ويهتم بالتصوير والترميز. ليصل المعنى بسهولة للمتلقى.

والنص مبني على السرد والحوار تحقيقاً لمتطلبات البناء القصصي للقصيدة، ويظهر السرد في مفتتح القصيدة، أما الحوار فيبدو غالباً على معظم أجزاء القصيدة، وقد أحدث إيقاعاً مميزاً استطاع أن يمنح النص حيوية وقدرة على إيصال رسالته.



قراءة في قصيدة ( الخمار) للشاعر الدكتور حسن الأمراني بين الشكل والمضمون.....(296)

كما يتميز تركيب النص بالمروحة بين الأسلوب الخبري، والأساليب الإنشائية، في بنية متماسكة، فقد جاء الخبر في البداية السردية لفاتحة القصيدة "في الزمن البعيد// كان هناك حاكم عنيد" وفي حديث الأخت: "نظراتكم تلمع في أعينكم، // وحولكم أحزمة ممزقة".

أما حديث الأخوة فجاء الخبر عند الأخ الثالث وهو يصدر الحكم على أخته: "هذا المساء، الشمس حمراء تجلّت في الغروب"، واستخدام الخبر هنا له دلالاته الميزة، إذ لامجال التراجع، فالحكم قد صدر ممن نصّبوا أنفسهم قضاة وجلادين في الوقت نفسه.

أما الأخوة الآخرون فجاء استخدام الأسلوب الإنشائي في المقاطع الخاصة بهم، واستخدم الشاعر أسلوب الاستفهام الإنكاري، في أسئلتهم التي كانت توجه للأخت أصابع الاتهام. ونلاحظ استخدام الأفعال الماضية دلالة على إقرار التهمة وإثباتها عليها (نزعت)، (مرّ) ثم يؤكد بالفعل المضارع ضمن جملة الاستفهام الاستنكاري (ألم يمرّ)

" الأخ الأكبر

أما نزعت اليوم

خَمَارُكَ الْمَصُونِ حَتَّى فِي سِرِيرِ النَّوْمِ؟"

و" الأخ الثاني

ساعتها مرّ، كطيفٍ، رجلٌ، أيتها الرقطاء؟

ألم يمرّ رجلٌ في جُبّةٍ خضراء؟"

ومن الأساليب الإنشائية المستخدمة؛ أسلوب الإغراء والتوسل (الرحمة... الرحمة) وقد تكرر بنفس اللفظ، فهي الآن في مصيبة عظيمة، تستنجد وتسترحمهم بأي طريقة.

أما الأفعال فتتراوح في حديث الأخت بين الماضي والمضارع، كحالتها القلقة، إذ في حديثها أول مرة وهي توضح حالتها غلبت الأفعال الماضية (رجعتُ/عدتُ / مررتُ/ اقتنيتها/ خنقتني) لأنها تحدثت حديث الواصل الذي لا يخالطه شك في نفسه.

وحيث سمعت أسألهم المتشككة فقد تحول حديثها إلى الدفاع عن نفسها فغلبت الأفعال المضارعة (أتطلبون / ستقتلون/ يشم..) وقولها مخاطبة خمارها حين حانت ساعة الصفر: (تفلت/ تحتي/ شدوا/ ينبسط/ يغيب) وحيث غلب اليأس والخذلان وانتقل الحديث لأمة الإسلام فإنه صار بين الخبر والإنشاء حسب مقتضى المعنى بدأ بالاستفهام الإنكاري (أهكذا) مكرراً ثلاث مرات، و(هلا) مكررة أيضاً تحمل من معاني التمني وفيها أطياف من الخذلان، وبالاستنكار "أتقتلون".

وبينها بعض الجمل الخبرية باستخدام الأفعال مضارعة (تذبّحون / تزعمون.. تقتلون / يخشى/ تكسر)، والماضية (شجذت/ شمخت/ رددتم/ كسرتم) لتقرير حال الأمة والتعاس والخذلان الذي تعيشه كل حسب مناسبتة للمقام.

#### ○ الموسيقى والقيمة الصوتية

للموسيقا الشعرية قيمة جمالية لا يمكننا إغفالها، وفي شعر التفعيلة يتنوع الإيقاع نظراً لخصوصية هذا النوع الشعري، الذي يحظى بالتنوع والحرية في النظام العروضي المبني أساساً على التجربة الشعورية. وهذا الإيقاع سواء كان خارجياً في القافية والروي أو داخلياً فإنه ينبع من "تناغم داخلي حركي هو أكثر من أن يكون مجرد قياس، وراء التناغم الشكلي الحسابي، تناغم

قراءة في قصيدة ( الخمار ) للشاعر الدكتور حسن الأمراني بين الشكل والمضمون.....(298)

حركي داخلي، هو سر الموسيقى في الشعر". وقد سبقت الإشارة إلى أن قصيدة "الخمارة" مبنية على نظام المقاطع، ولذا فهي تحتكم إلى مقاطع صوتية وحركية متناغمة تنقل في طياتها القيمة الشعورية والمعنوية التي يريد الشاعر إيصالها للمتلقى في حركة متنامية، إن لم تكن منتظمة فإنها تجري في نسق صوتي محدد ونسيج لغوي يحتكم إلى بناء القصيدة. وأهم مصدر لإيقاع القصيدة هو التجربة الشعرية، والانفعالات الشعورية المصاحبة لكل مقطع. وسنتطرق إلى نماذج من الطاقات الصوتية في القصيدة؛ فحين ننظر إلى فاتحة القصيدة نجد تلك الطاقة الصوتية المتمثلة في قافية الدال الساكنة المسبوقة بالياء "البعيدُ / عنيدُ / الصعيدُ / عبيدُ / السعيدُ / الرشيدُ / النشيدُ"

في الزمن البعيدُ

كان هناك حاكم عنيدُ

يطوف من شيراز، حتى الهند،

حتى الشام، حتى البلد الصعيدُ

يظن كل من مشى في ملكه

ليسوا سوى عبيدُ

وببصر الرؤوس كالثمار أينعت،

ويلهو مثلما المهووس بنساء البلد الصعيدُ

ونسى الناس الذي تعلموا من قول "لا" في الزمن الرشيدُ

واستنسروا على البغاث من بنات الحي،

فاغضب أيها النشيدُ

قراءة في قصيدة ( الخمار) للشاعر الدكتور حسن الأمrani بين الشكل والمضمون.....(299)

إن هذا الإيقاع الصوتي للمقطع الأول ينقلنا إلى عالم القص والحكايات، بما يحمله من دلالات البعد والعمق التاريخي للقصيدة.

وفي المقاطع اللاحقة نلاحظ اختلاف النسق الإيقاعي - وهذا أحد سمات شعر التفعيلة - هذا الاختلاف الذي به يتحقق التنوع، والذي يضمن سلاسة الانتقال بين مقطع وآخر، وكل مقطع يحمل موسيقا تناسب البنية الدلالية وتطور الأفكار، وحروف قوافيه تحمل طاقة دلالية صرفية غنية؛ فنلاحظ مناسبة ألف المد والنون الساكنة (انْ) "الاخوان/ السلطان" لدلالة القلق وروابط الأخوة والنسب المرتبطة بعنصر الأمان الذي ترجوه الأخت، وكذلك نلاحظ في المقاطع الأخرى تكرار القافية المنتهية بياء المتكلم (يراني / أرداني/ خماري/ أخباري/..) والكسر (إزار..) وهي جميعها تشير إلى ثقة الأخت في براءتها ومحاولتها إثبات ذلك، وحين عجزت نقلت حديثها لخمارها دليل براءتها مخاطبة إياه.

أوأه يا خماري

إزو الذي رأيت من أخباري

أوأه يا خماري الأبيض،

لا تفلت يدي إذ تسيلان دما،

وتحتي بعفتي، لا عفة إزار

وفي المقطع الأخير نرى دلالات تلك الطاقة الصرفية في قافيتها المقيدة ذات الروي المنتهي بالألف والنون الساكنة (انْ)، وقد منح هذا الروي للقيمة الصوتية الموسيقية دلالة خاصة بالتحسر والأسف لحال الأمة، هذا التأثير الذي يصل المتلقي من سماع روي اجتمع فيه ساكنان، وهذا مما لا يتحقق في العربية إلا في حالة الوقف.

قراءة في قصيدة ( الخمار ) للشاعر الدكتور حسن الأبراني بين الشكل والمضمون.....(300)

أما بالنسبة للموسيقا الداخلية للنص، فإنها رافد لإيقاع القصيدة وقيمتها الصوتية، إذ نلاحظ دور المحسنات البديعية في تقوية النسيج الصوتي والدلالي؛ كالجناس (بعيد/ عبید / عنید)، و(الصعيد/ السعيد) و(الرشيد/ النشيد) و(يراني/ أرداني) و(خماري/ أخباري)، (أزر/ إزار)، و(الموت/ الصوت)، و(شحذت/ شمخت) و(الأسياف/ الأطياف).

كما نلاحظ أثر التكرار في موسيقا النص، والذي له بالغ الأثر في رفق الطاقة الصوتية، والأبعاد الإيحائية والجمالية للنص. سواء من خلال تكرار الجمل:

- "ما خطبكم؟ ما خطبكم يا أيها الإخوان؟"

- "أنا من الحمّام قد رجعت الآن"

يا سادتي، عدت من الحمّام"

- "الرحمة، الرحمة"

أو تكرار الكلمات من أسماء أو أفعال أو حروف: (بالله، يا خماري، أواه، حتى ، أهكذا)

أو تكرار حروف بعينها، وهذه جميعها لها بالغ الأثر في تطويع اللغة لخدمة الفكرة التي تنقل التجربة الشعرية للمبدع.

#### ○ الصور الشعرية

تعد الصورة الشعرية إحدى أهم المكونات الإبداعية في القصيدة، لأنها تمنحها القوة الجمالية التي تتميز بها وتنقلها من المباشرة إلى الإيحاء والرمزية. ويمكننا أن نعد التصوير في أي قصيدة الجسر الذي يعبر من خلاله انفعالات المبدع وأحاسيسه للقارئ.

ففي قصيدة "الخمار" نجد كمّاً من الصور الشعرية الغنية والمكثفة، يكاد لا يخلو مقطع من صورة أو اثنتين أو أكثر.. من مثل: "ويبصر الرؤوس كالثمار

قراءة في قصيدة ( الخمار) للشاعر الدكتور حسن الأمراني بين الشكل والمضمون.....(301)

أينعت" فهذه الصورة تخيل لنا صورة الملك الظالم الذي لا يتوانى عن القتل بل يستلذ، مستمتعاً بحصاد أرواح الناس كما الثمار. وصورة أخرى نجد فيها تناصباً: "واستنسروا على البغاث من بنات الحيّ" هذه الصورة التي أجاد الشاعر استخدامها وإعادة صياغتها ببناء ومعنى جديدين من المثل العربي القديم "إنّ البغاث بأرضنا يستنسر"°، يصور فيها تسلط الناس على الفتيات الضعيفات من بنات الحي، وهذا إضاءة تمهد للفكرة الرئيسية للقصيدة وللقصة القادمة.

وتتوالى الصور في المقاطع اللاحقة بشكل مكثف، فالصورة لها قدرة عجيبة على اختزال الفكرة، ويعتمد نجاحها على قوة العاطفة التي تنطلق منها، وقد نجح شاعرنا في إغناء القصيدة بالصور الفنية التي جاءت مسترسلة دون تكلف، من مثل:

- نظراتٍ زائغاتٍ مثلما السهام

- خنقتني لفحة الظهيرة

- ساعتها مرّ، كطيّفٍ، رجلٌ، أيتها الرقطاء؟

وسنقف عند بعض هذه الصور المميزة:

- مثل مصابيحٍ جنائزيةٍ

في مأتم السلطان

هذه الصورة التعبيرية التي يبدو أن الشاعر قد استقاها من الطقوس الجنائزية عند الرومان، إذ كانت المصابيح حاضرة بقوة، فقد كانوا يدفنونها مع موتاهم لتصورهم أنها ستنير درجهم في عالم الغيب. والشاعر هنا يشبه وجوه الأخوان وجباههم وهم يرمون بسهام تهمهم إلى أختهم، شبهها بالمصابيح الجنائزية، وكأنهم يحضرون مأتماً رومانياً ويحملون بأيديهم مصابيحهم

قراءة في قصيدة ( الخمار) للشاعر الدكتور حسن الأمrani بين الشكل والمضمون.....(302)

الجنائزية ليدفنوا أختهم، وفي هذا دلالة على إثباتهم التهمة عليها وعدم إعطائها أي فرصة للدفاع عن نفسها وكأنها ميتة أصلاً.

وصورة أخرى تختزل عاطفة الخذلان:

- "كأنها قضضة الذئب بأرض مقفرة"

حين ترى الأخت أخوانها مشهرين خناجرهم نحوها، ويطعونها بشكوكهم وقد غدت خناجرهم كالذئاب عطشى لتقضض عظامها وهي الفقيرة لاحول لها ولاقوة.

ومن الصور اللافتة :

- "ينبسط الآنَ خمارُ الموت"

فقد شبه الشاعر إحساس الأخت بدنو أجلها، وقرب الموت - بعد بأسها وخُذْلانها من أقرب الناس إليها- شبهه بالخمارة الذي يسدل ويغطي به الموتى، ويا للمفارقة فهذا الخمار هو الذي كان سبباً لمشكلتها وقتلها!!

ويمكننا أن نعد بنية الصورة الشعرية في النص، الكتلة الشعورية التي تمتلك المقومات المهيئة لنقل مقاصد الشاعر وأفكاره إلى المتلقي، من خلال تركيزها وتكثيفها، ونقلها للقارئ في صورة إبداعية يحلق من خلالها في فضاءات الإبداع. وتتحقق من خلالها وظيفتها التأثيرية. وقد نجح الشاعر في تشكيلها ونقلها للمتلقي عن طريق مزيج من الصور المتتالية والمتكاثفة التي شكلتها عاطفة الشاعر.

#### ○ العاطفة

تشيع في النص عاطفة الألم، ومشاعر الحزن والأسى لحال الفتاة المسكينة التي تكالب عليها أخوانها ظلماً وعدواناً.

قراءة في قصيدة ( الضمان ) للشاعر الدكتور حسن الأمراني بين الشكل والمضمون.....(303)

والملاحظ أن تعبير الشاعر يقوم على تكاثف الصور – كما تمت الإشارة سابقاً- والذي حافظ على النص من الوقوع في فخ المباشرة، بل شكّل معادلاً موضوعياً – على رأي إليوت ألبرت- لعاطفة الشاعر ومنحها قوة بتماسكها مع الخيال.<sup>6</sup>

هذا المزيج المتشكل من عواطف الألم والحزن والأسى ومشاعر الظلم والخيبة واليأس تتضافر لتشكل قوة تأثيرية خاصة، تثير في المتلقي تلك العواطف المختلفة وتنقل له الصورة المتخيلة في أعلى مستوياتها حين تتجسد مع الفكرة واللغة التعبيرية.

تلك القوة التأثيرية هي نفسها التي تجمع جميع العناصر في بنية النص الخارجية والداخلية ، وبنية الشكل، وكلها تقوم على قدرة الشاعر وتمكّنه من بناء النص في مقابل وعي المتلقي لقراءة النص قراءة عميقة. والتي ترجو هذه الدراسة أن تكون قد وفقت في الإشارة إلى بعض ملامحها في إطار التأثير والتأثر.

## الهوامش والمراجع

<sup>1</sup> ولد في مدينة وجدة (المغرب) عام ١٩٤٩م، نال شهادة الإجازة في اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب بفاس، عام ١٩٧٢، ونال درجة الدكتوراة من كلية الآداب بالرباط عن أطروحته الموسومة بـ "المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين" بإشراف الدكتور عباس الجراري. تقلد العديد من المناصب التربوية في المراكز التربوية والجامعات في المغرب والمملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات العربية المتحدة. وهو عضو مؤسس أو عامل في العديد من المجالس والاتحادات الأدبية الإقليمية والعالمية ، وشارك في العديد من المؤتمرات الأدبية والفكرية في عددٍ من البلدان الأفريقية والآسيوية



قراءة في قصيدة ( الخمار) للشاعر الدكتور حسن الأمrani بين الشكل والمضمون.....(304)

والأوروبية: فهو مؤسس مجلة المشكاة ورئيس تحريرها منذ عام ١٩٨٣م. وعضو اتحاد كتاب المغرب منذ عام ١٩٧٥م. عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وعضو مجلس الأمناء منذ مؤتمرها الأول في لکنو بالهند عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، وغيرها. له العديد من المؤلفات منها: سيمياء الأدب الإسلامي . مؤسسة الندوي . وجدة. بدیع الزمان سعيد النورسي، أديب الإنسانية. نحو ثقافة بانیه، مؤسسة المحجة. المتنبي وفكتور هيجو: درس افتتاحي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية. وله عدد من الدواوين الشعرية منها: الحزن يزهر مرتين، ومزامير، والقصائد السبع، وثلاثية الغيب والشهادة، وسأتیک بالسيف والأقحوان.... وغيرها.

المرجع: مجلة الثقافة البانية – السيرة الذاتية للدكتور حسن الأمrani.

<sup>٢</sup> حسن الأمrani: وجدة: ١٥ محرم الحرام ١٤٤١ / ١٥ . ٩ . ٢٠١٩ . إضاءة: بنيت هذه

القصيدة على قصيدة فكتور هيكو (الخِمار) التي كتبها في سبتمبر ١٩٢٨

<sup>٣</sup> - ابن منظور: لسان العرب، ج٢/ ص١١٧. دار صادر- بيروت، ط١/ ١٩٩٧.

<sup>٤</sup> أدونيس: زمن الشعر. دار العودة- بيروت، ط٢، ص١٤.

<sup>٥</sup> أبو هلال العسكري: جمهرة أمثال العرب، دار الكتب العلمية- بيروت. الطبعة الأولى ج١/ ١٨٨.

قولهم "البغاث بأرضنا يستنسر" يضرب مثلاً للعزیز يعز به الذليل. والبغاث: صغار الطير. والواحدة: بُغَاثة. يَسْتَنْسِرُ: أي يصير نسرًا، فلا يُقَدَّر على صيده.

<sup>٦</sup> - أحمد رحمانی: نظريات نقدية وتطبيقاتها. مكتبة وهبة- القاهرة. ط١ ٢٠٠٤م، ص ١٩٦.